توطئة

عاش أبو هريرة عمراً مديداً بعد رسول الله ﷺ، استغرق مدة خلافة الراشدين الأربعة ومدة حُكْم معاوية رضي الله عنهم جميعاً، ولم يكن خلال تلك السنين الطويلة منعزلاً عن الأحداث ولا مُنْكَفِئاً على نفسه، فما هو بالرجل العادي، ولا بالذي لا يُقام له وزن ولا يُؤبَه له ولا يُفْطَن به، بل كان من أعيان الصحابة وأكابر علمائهم الذين سطَّروا بأعمالهم الجليلة أروع ملاحم التاريخ في حياة البشرية عموماً والأمة الإسلامية خصوصاً. فكانت له المنزلة الرفيعة عند الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر، وحسبك أن الفاروق ولاَّه البحرين ثم تمنَّى عليه أن يليه ثانية فأبى، وناصَرَ عثمانَ أيام الدار، وروى فضائل أولئك الثلاثة الأخيار.

وأما موقفه مع علي رضي الله عنه فلم يكُ أقلَّ شموخاً ولا أدنى وفاءً من مواقفه مع إخوانه الخلفاء الثلاثة قبله، فروى فضائله الكثيرة، ونشرها بين الناس، وهو إن لم يُناصِرْه ضد معاوية، فإنما فعل ذلك انطلاقاً من موقف مبدئي قديم اتخذه وهو اعتزال الفتن، حتى في عهد عثمان، فما عُرف له خوضٌ فيها، ولا سُمِع له صوتٌ في أحداثها، إلا عندما أُريدت نَفْس عثمان، فلقد كان تحذيرُ النبي ﷺ من الفتن نُصْبَ عينيه، فتمثَّل تلك التوجيهات النبوية في اعتزال الفتن، وحَضَّ الناس

على عدم خوض غمارها، شأنُه في هذا شأن جمهرة من أخيار الصحابة الذين أغمدوا سيوفَهم وكَفُّوا ألسنتهم عن الدخول في معترك الفتن، مثل سعد وأبي بَكْرة وأسامة وأمثالهم.

ويسجِّل التاريخ أروعَ المواقف لأبي هريرة في موالاته العِتْرة الطاهرة، وحبِّه آل البيت، ورواية مناقبهم، وتحديث الناس بفضائلهم، بل تراه يهبُّ كالأسد الهَصُور في وجه مروان بن الحَكَم حينما اعترض على دفن الحَسن بجوار جدِّه ﷺ، ومروان إذ ذاك أمير المدينة.

واستمرت علاقته الطيبة والحب المتبادل بينه وبين آل البيت في الحلقات المتتابعة، فيعرف لهم حقهم وفضلهم، وهم يجلُّونه ويرفعون منزلته ويُنْصِتون إلى حديثه ويروون السُّنَن من طريقه، دون أن يمرَّ ببالهم خاطر من كراهية أو بغضاء منه لهم أو منهم له. ولم يُعكِّر صَفْوَ هذه العلاقات الحميمة الوثيقة إلا افتراءاتُ المفترين وكَذِبُ الشانئين ممن جاء بعدهم في العهود اللاحقة.

وسارت علاقةُ أبي هريرة مع الأمويين على النهج الذي رسمه لنفسه وفق هدي النبوة الكريم، فلا هو صانَعَ معاويةَ في خلافه لعليٍّ، ولا تزلَّف إليه إبَّان خلافته، وحينما كان ينوب عن مروان في إمرة المدينة بقي على العهد الأول لم يغيِّر ولم يبدِّل.

وما يفتريه المفترون من أن أبا هريرة كان نَهَّازاً للفُرص مُراوغاً في المعاملة، فهذا ما اختلَقَه أعداءُ الإسلام ومبغضو الصحابة، فما على هذه

الأخلاق تربَّوا، ولا ترضى نفوسُهم الكريمة وخلالُهم الأصيلة غيرَ الاستقامة في المعاملة مع جميع الناس وفي كل الأحوال، والفِرى التي حِيكت وقِيلت في هذا الباب كثيرة، سيأتي بيانُ وَهَائِها وكشفُ عُوَارِها.

* * *

الفصل الأول

مع أبي بكر الصديق

في السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الحج، وأمره أن يُؤذِّن ببراءة في أهل الموسم، ومعه نَفَر يساعدونه في هذه المهمة منهم أبو هريرة.

عن أبي هريرة قال: (بَعَثَني أبو بكر الصديق في الحَجَّة التي أَمَّرهُ عليها رسول الله ﷺ، قبل حَجَّةِ الوَدَاع، في رَهْط يُؤَذِّنُونَ في الناسِ يوم النَّحْر: لا يَحُجُّ بعدَ العامِ مشركٌ، ولا يَطُوف بالبيت عُرْيَان)[1].

وشارك معه في حروب الرِّدَّة، ثبت عنه ذلك في الحديث الصحيح المتقدِّم ذكْره، والذي يقول فيه: (فقاتَلْنا معه، فرأَيْنَا ذلك رَشَداً)[2].

ويبيِّن أبو هريرة فَضْلَ الصديق على الأمة، وأنه منحةٌ من الله تعالى للإسلام في ساعات المحن العصيبة، وعلى رأسها حركة الردّة التي

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما، وقد مرت له روايات أخرى، ص١٦٠ حاشية (١).

(٢) انظر، ص١٦١ حاشية (١).

تصدى لها بعزْمةٍ صابرة، وذلك فيما أخرجه البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة قال: (والذي لا إلـه إلا هـو لولا أن أبا بكـر استُخْلِف ما عُبِد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة! فقيل له: مَهْ يا أبا هريرة! فقال: إن رسول الله ﷺ وجَّه أسامة بنَ زيد في سبع مئة إلى الشام، فلما نزل بذي خُشُب، قُبض النبي ﷺ وارتَّدتِ العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: رُدَّ هؤلاء، توجِّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟! فقال: والذي لا إلـه إلا هو، لو جَرَّتِ الكلابُ بـأرجلِ أزواج النبي ﷺ ما رددتُ جيشاً وجَّهه رسول الله ﷺ، ولا حَلَلْتُ لواءً عَقَده. فوجَّه أسامة، فجعلَ لا يمرُّ بقَبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرج مثلُ هؤلاء من عندهم، ولكن نَدَعُهم حتى يَلْقَوا الروم. فلقوهم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام)[1].

* * *

(١) مختصر ابن عساكر: ١٣/ ٩٨؛ البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٥؛ وقال المتقي الهندي في كنز العمال: ٣/ ١٢٩: سنده حسن.

الفصل الثاني

مع عمر بن الخطاب

كانت لأبي هريرة منزلةَ عالية عند عمر، وكان ممَّن يعتمد عليهم في تسيير أمور البلاد وسياسة شؤون العباد، وأبرزُ دليل على ذلك ما قدَّمناه من إرساله أميراً للبحرين، قائلاً: (يا أبا هريرة، ائتِ البحرين وهَجَر أنت العام)، قال أبو هريرة: (فذهبتُ). فبقي أميراً لها مدّةً، ولما عاد كان له مع الفاروق موقف ضخم، حيث قاسَمَه عمرُ أرزاقَه وشاطَره مالَهُ الخاص وردَّه في بيت مال المسلمين، فما عَكَّر ذلك صفوَ علاقة الصاحبين ببعضهما، بل كان أبو هريرة يدعو لأمير المؤمنين في صلاته.

ولشدَّة وثوقِ عمر بطهارة سيرة أبي هريرة وحُسْنِ سياسته في الناس وثنائهم عليه، دعاه ليوليه إمارة البحرين ثانية، فاعتذر إليه، وذكَّره بما حَدَث بينهما، فتركه وشأنه.

وكان الصحابة ينشرون الحديث النبوي في عهد عمر وقبل عهده، وعلى رأسهم علماؤهم وفي مقدمتهم أبو هريرة، وكان من منهج عمر التشديد في الرواية، فتراه يَحمل الصحابة على الإقلال من التحديث، احتياطاً للسنة، واستيثاقاً لها، وزجراً لمن بعدهم من الاجتراء على

الرواية، والتقوُّل على رسول الله ﷺ، لذا تراه يقول لأبي هريرة: (هل كنتَ معنا يومَ كان رسول الله ﷺ في دار فلان؟ قال أبو هريرة: نعم، وقد علمتُ لأيِّ شيء سألتَني، لأنَّ رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: «مَن كَذَبَ عليَّ مَتعمِّداً فَلْيَتبـوَّأْ مقعَده من النـار». فقال عمر: حَدِّثِ الآن عن النبي ﷺ ما شئتَ)[1].

فما كان عمر ينهى أبا هريرة عن التحديث وبثِّ ما وعاه من سُنَن شريفة، ولا اتَّهمه ـ حاشاه ـ فيما يرويه، بل إن عمر نفسه قد سأله في غير موقف عما سمعه من رسول الله ﷺ، كسؤاله عن الوَشْم والرِّيْح، مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) تاريخ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٤٤.

الفصل الثالث

مع عثمان بن عفان

ويتابع أبو هريرة تشييد علاقاته الوثيقة ومواقفه الطيبة مع الخليفة الثالث، فينشر فضائل عثمان، ويدافع عنه يوم الدار، ويبكيه عند استشهاده رضي الله عنه وأرضاه.

عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: (أنَّ رسولَ الله ﷺ كان على حِراءٍ هو وأبو بكر وعُمر وعثمان وعلي وطلحة والزُّبير، فتحرَّكَتِ الصخرةُ، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأْ، فما عليكَ إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ»)[1].

ولما جاءت الغَوْغاء إلى المدينة قاصدين حصار عثمان وقتلَه، واجتمع الرَّعَاعُ حول الدار، وجَدُّوا في الحصار، كان للصحابة الكرام مواقف بطولية للدفاع عن الخليفة، ومن جملة هؤلاء أبو هريرة.

روى الطَّبري بإسنادِه عن جماعة قالوا: (وأَقْبَل أبو هريرة، والناس

---

(١) أخرجه أحمد (٩٤٣٠) ـ واللفظ له ـ؛ ومسلم (٢٤١٧)؛ والترمذي (٣٦٩٦)؛ والنسائي في الكبرى (٨٢٠٧)؛ وابن حبان (٦٩٨٣) وغيرهم.

مُحجمون عن الدار، إلا أولئك العُصْبة، فدَسَروا، فاستقتَلُوا، فقام معهم وقال: أنا أُسوتُكم، وقال: هذا يومٌ طابَ امْضَرْب ـ يعني أنه حَلَّ القتال وطابَ، وهذه لغة حِمْيَر ـ ونادى: يا قوم، ما لِي أَدْعُوكُم إلى النَّجَاةِ وتَدْعُونَني إلى النَّار؟!)[1].

وقام يذكّر الناس جميعاً وهؤلاء الخارجين خصوصاً، بفضائل عثمان، وثناءِ النبي ﷺ عليه، وحضِّ الناس على ملازمته وطاعته، وذلك فيما رواه أحمد وغيره، عن موسى بن عُقْبة قال: حدَّثني جدي أبو أمي أبو حَبيبة: (أنه دخل الدارَ وعثمان محصورٌ فيها، وأنه سمع أبا هريرة يَستأذِنُ عثمان في الكلام، فأَذِن له، فقام فحمدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تَلْقَون بعدي فِتنةً واختلافاً»، أو قال: «اختلافاً وفتنةً»، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمينِ وأصحابه»، وهو يُشير إلى عثمان بذلك)[2].

ويستبسل للقتال، ويسل سيفه، ويستأذن الخليفة بمقارعة هؤلاء البغاة، فيمنعه عثمان كما منع جميع الصحابة ممن معه في الدار، وأمر

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٣٨٩؛ أحداث سنة (٣٥هـ).

(٢) أخرجه أحمد (٨٥٤١) ـ واللفظ له ـ؛ وابن أبي شيبة: ٧/ ٤٩١؛ والحاكم: ٣/ ٩٩ و٤/ ٤٣٣ وصححه ووافقه الذهبي، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

أن لا تراق بسببه قطرة دم!.

روى الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: (دخلتُ على عثمانَ يوم الدار، فقلت: يا أمير المؤمنين، طابَ امْضَرْب[1]، فقال: يا أبا هريرة، أَيَسُرُّكَ أن تَقتل الناسَ جميعاً وإياي؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك واللهِ إن قتلتَ رجلاً واحداً فكأنما قُتِل الناسُ جميعاً. قال: فرجعتُ ولم أقاتل)[2].

وروى سعيد المَقْبُريُّ، عن أبي هريرة قال: (إني لمحصورٌ مع عثمان رضي الله عنه في الدار، قال: فَرُمي رجلٌ منا، فقلت: يا أمير المؤمنين، الآن طابَ الضِّرابُ، قتلوا منا رجلاً. قال: عـزمتُ عليك ياأبا هريرة إلا رميتَ سيفَكَ، فإنما تُراد نفسي، وسَأَقي المؤمنين بنَفْسي. قال أبو هريرة: فرميتُ سيفي لا أدري أين هو حتى الساعة)[3].

وحَزِن أبو هريرة على عثمان الشهيد، وبقيتْ ساعات العُسْرة تلك مرسومة أمام عينيه، ولا تُغادر قلبه، فكان كلَّما تذكَّرها أَجْهَشَ بالبكاء للخسـارة الكبرى بمقتل عثمان، والظلم الظالم الذي ناله من هـؤلاء الفجرة.

---

(١) في طبقات ابن سعد: (طابٌ أم ضربٌ؟) وهو خطأ.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٧٠.
(٣) الاستيعاب: ٣/ ٧٩.

روى الأعمش، عن أبي صالح قال: (كان أبو هريرة إذا ذكر ما صُنِع بعثمان بَكَى، قال: فكأني أسمعُه يقول: هاه هاه! ينتحِب)[1].

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٨١.